الإسلام والغرب: جدلية الصورة والصراع

إعداد

مريم بنت عزيز بن صالح الحربى

قسم العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة ،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة القصيم ،المملكة العربية السعودية

المستخلص:

يتناول هذا البحث تحليل الصورة النمطية التي رسمها الفكر الغربي عن الإسلام والمسلمين، وكيف تَشكّلت هذه الصورة تاريخيًا، منذ بواكير التفاعل بين الإسلام والمسيحية، ثم تطورت وتكرست عبر وسائل متعددة من أبرزها: الحروب الصليبية، الاستعمار، حركة الاستشراق، وأخيرًا الإعلام المعاصر.

ويعرض البحث مواقف الغرب تجاه الإسلام، مبينًا ازدواجية الرؤية بين موقف منصف محدود، وموقف عدائي واسع الانتشار، تغذّيه دوافع دينية وسياسية.

كما يعالج البحث مواقف المسلمين تجاه الحضارة الغربية، والتي تراوحت بين الرفض المطلق، والذوبان الكامل، والموقف الوسطي المعتدل الذي يزن الأمور بميزان الشرع.

ويركّز البحث على تحليل نظريتين معاصرتين بارزتين في الفكر الغربي:

نظرية صراع الحضارات لصامويل هنتنغتون، التي تنظر إلى الإسلام كتهديد حضاري لا يمكن التعايش معه.

نظرية نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما، التي ترى في الليبرالية الديمقراطية الأمريكية النموذج النهائي الذي سينتهي إليه تطور البشرية.

وقد اتبع البحث المنهج التحليلي النقدي، مستندًا إلى نصوص أصلية للمفكرين الغربيين، ومصادر إسلامية موثوقة، للكشف عن الخلفيات الأيديولوجية والفكرية الكامنة خلف هذه النظريات.

وخلص البحث إلى أن النظرة الغربية للإسلام لا تزال أسيرة تصورات مشوَّهة، وأن الغرب يعيش أزمة فكرية عميقة يحاول تجاوزها عبر فرض نماذج فكرية أيديولوجية، في مقابل ثبات الإسلام وامتداد حضارته ومبادئه في كل زمان ومكان.

الكلمات المفتاحية: الإسلام، الصورة النمطية، الغرب، صراع الحضارات، الفهم المتبادل.

"Islam and the West: The Dialectic of Image and Conflict

Prepared by: Researcher Maryam bint Aziz Al-Harbi

Abstract

This research analyzes the stereotypical image that Western thought has constructed about Islam and Muslims. It explores the historical development of this image, beginning with early interactions between Islam and Christianity, and tracing its evolution through the Crusades, colonialism, Orientalist discourse, and modern Western media. The study highlights the duality in Western attitudes toward Islam—between a minority of fair-minded scholars and a dominant hostile perspective rooted in religious and political motivations.

The research also addresses Muslim responses to Western civilization, categorizing them into three main stances: total rejection, complete submission, and a balanced, moderate approach grounded in Islamic principles.

The core focus of the study lies in critically examining two influential Western theories:

- **Samuel Huntington's "Clash of Civilizations"**, which portrays Islam as an inherent civilizational threat.
- **Francis Fukuyama's "End of History"**, which claims that Western liberal democracy represents the final form of human government and the endpoint of ideological evolution.

Employing an analytical and critical methodology, the study draws upon original texts from Western thinkers and authentic Islamic sources. It concludes that the Western perception of Islam remains deeply flawed and ideologically driven, while Islam continues to offer a coherent and enduring civilizational model rooted in divine guidance.

Keywords: Islam, Stereotype, The West, Clash of Civilizations, Mutual Understanding**.**

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

تُعد وسائل الإعلام في عصرنا الحالي أداةً مؤثرة في بث الأفكار والقضايا، ولها أثر بالغ في تشكيل مواقف المتلقي، سواء كانت سلبية أو إيجابية.

ومما استُغل استغلالاً سلبياً في وسائل الإعلام: التشويه المتعمد لصورة الإسلام والمسلمين، مما أفضى إلى فهم خاطئ للإسلام، وظهور مواقف ومصطلحات عدائية تجاهه.

ولمن يتعمد نشر تلك الصورة المشوهة أهداف واضحة، من أهمها: محاولة الحد من انتشار الإسلام.

وفي هذا البحث، أعرض الصورة النمطية الغربية للإسلام ومواقفهم تجاهه، كما أبين مواقف المسلمين من الغرب، وأطرح ما يتعلق بين الحضارتين من قضايا معاصرة، كقضية صراع الحضارات، ونهاية التاريخ.

ومن هنا نشأت فكرة هذا البحث بعنوان:

الإسلام والغرب: جدلية الصورة والصراع

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من تناوله لقضايا فكرية معاصرة تمسّ العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب، في ظل ما يشهده الواقع من احتكاك حضاري واسع وتأثير متبادل في المجالات الإعلامية والفكرية والسياسية.

كما تتجلى الأهمية في الآتي:

١- الكشف عن مفهوم الصورة النمطية للإسلام في الذهنية الغربية، وبيان كيفية تشكّلها عبر العوامل التاريخية والإعلامية.
٢- تحليل مواقف الغرب من المسلمين، وبيان الأسباب والدوافع الكامنة وراء تلك المواقف.
٣- عرض مواقف المسلمين من الغرب، وتوضيح الموقف الصحيح والمتزن في ضوء المعايير الشرعية والفكرية.
٤- تسليط الضوء على نظرية صراع الحضارات، والتعريف بأبرز من دعوا إليها وتأثروا بها.
٥- عرض فكرة نهاية التاريخ، وبيان خلفياتها الفكرية وأهم منظّريها.

مشكلة البحث:

تدور الإشكالية الأساسية لهذا البحث حول القضايا الفكرية المعاصرة بين العالم الإسلامي والغرب، وما تخلل هذه العلاقة من تصورات متبادلة وأفكار تشكّلت بفعل الإعلام والتاريخ والسياسة.

وتتضح المشكلة من خلال السعي للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما هو مفهوم الصورة النمطية؟ وكيف تشكّلت في الذهن الغربي تجاه الإسلام؟
٢- ما هي مواقف الغرب تجاه الإسلام؟ وما الأسباب الكامنة خلف تلك الموقف؟
٣- ما موقف المسلمين من الحضارة الغربية؟ وهل يندرج ضمن صور نمطية أو تقييم واقعي؟
٤- ما المقصود بـ"صراع الحضارات؟ وما السياق الذي نشأت فيه هذه النظرية؟
٥- ما معنى "نهاية التاريخ"؟ ومن أبرز المنظّرين لها؟

أهداف البحث:

١- تحديد مفهوم الصورة النمطية الغربية تجاه الإسلام، وبيان كيفية تشكّلها عبر وسائل الإعلام والسياقات التاريخية والسياسية.

٢- تحليل مواقف الغرب من الإسلام، وبيان الأسس التي قامت عليها هذه المواقف، سواء أكانت دينية، أم سياسية، أم ثقافية.

٣- دراسة مواقف المسلمين من الحضارة الغربية، وتصنيفها إلى اتجاهات مختلفة (سلبية، مغالية، معتدلة)، مع محاولة بيان الموقف المتوازن منها.

٤-توضيح مفهوم "صراع الحضارات"، والكشف عن جذور هذه النظرية وأهدافها الفكرية والسياسية، ومدى تأثيرها في العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي.

٥- عرض مفهوم "نهاية التاريخ"، وتحليل خلفيته الفلسفية، وبيان ارتباطه بنظرة استعلائية للحضارة الغربية.

٦- إبراز أثر وسائل الإعلام في تشكيل التصورات المتبادلة بين المسلمين والغرب، ودورها في ترسيخ أو تعديل الصور النمطية.

الدراسات السابقة:

١- "صورة الإسلام في الإعلام الغربي" للدكتور عبد القادر طاش (١٤١٣هـ)، وقد تناول مفهوم الصورة النمطية وخصائصها وتطورها، والعوامل التي أسهمت في تكوينها.
٢- "الحواجز بين المسلمين والغرب" للأستاذ الدكتور ناصر القفاري (١٤٤١هـ)، وتناول فيه مفهوم الحواجز بين الطرفين، ومواقف كل من المسلمين والغرب، وجذور الصراع وسبل التواصل.
٣- "صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي" منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، للدكتور عبد العزيز التويجري، وتناول معنى الصراع وجذوره، وطرح التفاعل الحضاري كبديل عن الصدام، مع بيان مفهوم "صراع الحضارات" في الرؤية الإسلامية.

يتميّز هذا البحث عن الدراسات السابقة بجمعه بين عدة قضايا فكرية معاصرة مترابطة، وهي: الصورة النمطية الغربية للإسلام، وصورة الغرب في العالم الإسلامي، وصراع الحضارات ونظرية نهاية التاريخ. وقد تناولت الدراسات السابقة كل موضوع منها بشكل منفصل، دون الربط التحليلي بين هذه القضايا.

كما أن هذا البحث سعى إلى النظر في التمثلات المتبادلة بين الطرفين، من خلال تحليل الصورة الذهنية لكليهما، وتفكيك جذور التحيز والصراع، مع استحضار البعد الحضاري والفكري في النظر إلى الآخر. وقد أُدرجت "نظرية نهاية التاريخ" بوصفها امتدادًا للطرح الغربي في تفسير العلاقة مع الإسلام، وهو ما لم يُتناول بنفس الوضوح في الدراسات السابقة، مما يمنح هذا البحث بعدًا تحليليًا أوسع، ويسهم في تقديم رؤية متوازنة لفهم العلاقة بين الإسلام والغرب في سياقها المعاصر.

منهج البحث:

اعتمدت الباحثة في هذا البحث على المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية من مصادرها المتنوعة، ثم المنهج التحليلي في تفكيك المفاهيم وتفسير المواقف، وأخيرًا المنهج النقدي في مناقشة الآراء وفق رؤية علمية موضوعية.

خطة البحث:

يتكوّن البحث من: مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وفهرس (المصادر والمراجع).

المبحث الأول: الصورة النمطية الغربية للإسلام.

المطلب الأول: مفهوم الصورة النمطية الغربية.

المطلب الثاني: خصائص الصورة النمطية ونشأتها.

المطلب الثالث: مظاهر الصورة النمطية في الإعلام الغربي.

المطلب الرابع: موقف الغرب من الإسلام

المبحث الثاني: صورة الغرب في العالم الإسلامي.

المطلب الأول: الصورة السلبية.

المطلب الثاني: الصورة المغالية.

المطلب الثالث: الصورة المعتدلة.

المبحث الثالث: صراع الحضارات.

المطلب الأول: مفهوم صراع الحضارات.

المطلب الثاني: نشأة نظرية صراع الحضارات.

المبحث الرابع: نهاية التاريخ.

المطلب الأول: مفهوم نهاية التاريخ.

المطلب الثاني: نشأة نظرية نهاية التاريخ.

****

المبحث الأول: الصورة النمطية الغربية للإسلام.

المطلب الأول: مفهوم الصورة النمطية:

أولاً: المعنى اللّغوي:

الصورة: ترجع إلى "صورة كل مخلوق"، أي الهيئة التي خُلق عليها [١].

النمطية: مأخوذة من "النمط"، وهم: "الجماعة من الناس، وقد ورد في الحديث: "خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالي ويرجع إليهم الغالي" [٢].

ثانياً: بداية ظهور مصطلح "الصورة النمطية":

كان أول ظهور لاستخدام مصطلح الصورة الذهنية والنمطية في الدراسات الغربية، وخصوصاً في علم النفس الاجتماعي، ثم شاع استخدامه بشكل أوسع في الدراسات الاتصالية والإعلامية؛ نظراً للعلاقة الوثيقة بين هذه الدراسات ومجالات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

وقد واستخدم بعض الباحثين مفهومي الصورة الذهنية والنمطية Image و Stereotype على التبادل، لكونهما؛ يشتركان في الدلالة على الصورة الذهنية عموماً، بينما ميّز آخرون بينهما: باعتبار أن:

كلمة Image أوسع وأشمل، فهي تتناول الصورة الذهنية المتعلقة بالحياة والأشخاص والأشياء، ويرجع أصل الكلمة إلى اللاتينية Imago المتصلة بالفعل Imitari بمعنى "يحاكي" أو "يمثل". وقد ورد معناها في معجم وبستر: تصور عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة، يشير إلى اتجاه هذه الجماعة نحو شخص معين أو شيء بعينه.

أما كلمة Stereotype فهي أخصّ، وتدل على الصورة الذهنية الثابتة، والتي تتسم بالجمود والتبسيط المفرط، وتستخدم بشكل أوسع في المجال الإعلامي، وقد اشتُقّ معناها من عالم الطباعة، حيث يشير إلى القالب الثابت الذي تُصب عليه الحروف، وجاء في معجم وبستر أنها: "صورة ذهنية موحدة، مشتركة بين أعضاء المجموعة، تمثّل رأياً مبسطاً، أو موقفاً عاطفياً، أو حُكماً غير مدروس [٣].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس (٣/٣٢٠).
(٢) مجمل اللغة، ابن فارس (١/٨٨٦)، والحديث أخرجه ابن ابي شيبة برقم (٣٤٤٩٨) موقوفاً عن علي بن أبي طالب ﷺ.
(٣) انظر: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، عبد القادر طاش (١٠).

ثالثاً: تعريف الصورة النمطية كمصطلح:

تعددت تعاريف الصورة النمطية في الدراسات الحديثة، ومن أبرزها:

أنها "منظومة من الانطباعات والأفكار والآراء والاتجاهات، التي تُكوِّن تصوراً عاماً أو شائعاً. وهي تمثل وصفاً موجزاً، أو تصوراً موحداً لشعبٍ ما أو حكومته"(١).

وعرّفها آخرون بأنها "السمات الشائعة الثابتة التي تسري على شعب ما من جانب شعب آخر، والتي تأخذ شكل العقيدة العامة الجماعية، والتي تصاغ على غير أساس علمي أو موضوعي تأثراً بأفكار متعصبة تتسم بالتبسيط في تصورها للآخر"(٢).

وبناءً على ذلك، فإن الصورة النمطية تُعد مجموعة من الآراء والأفكار المبسطة والمتعصبة والجامدة، التي يصدرها الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، ويكون أساسها في الغالب غير علمي أو غير موضوعي.

رابعاً: معنى "الغربية":

لغة: غرب، تدل على البُعد، ومنها الغربة: أي الابتعاد عن الوطن، ويقال: "غَرُبَت الدار"، أي ابتعدت. ومن هذا الباب: قولهم "غروب الشمس"، أي ابتعادها عن وجه الأرض(٣).

اصطلاحاً: يُستخدم وصف "الغربية" بإطلاقين:

١- الإطلاق جغرافي: ويقصد به دول الغرب، مثل أوروبا وأمريكا.

٢- إطلاق ثقافي (فكري): ويقصد به الخصائص التي تميز الحضارة الغربية من حيث العقائد، والمناهج الفكرية، والفلسفات، والعلوم، ومظاهر التقدّم الصناعي والتقني(٤).

ويتضح بذلك أن هناك ارتباطًا بين المعنى اللغوي للغَرْب، وبين الإطلاق الجغرافي والثقافي الذي يحدّد مدلول "الغرب" في هذا السياق.

---

(١) the image of the united slates in ten Mexican daihes 'journlism quarterly(spring (1962، نقلا عن: الصورة الإسلام في الإعلام الغربي عبد القادر طاش (٢٢).

(٢) الشخصية العربية بين صورة الذات ومفهوم الآخر السيد ياسين (١٠١)، نقلاً عن صورة الإسلام في الإعلام الغربي عبد القادر طاش (٢٢) .

(٣) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢١/٤).

(٤) انظر: الشرق والغرب لأحمد أمين (٨)، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية لأبي الحسن الندوي (١٢).

المطلب الثاني: خصائص الصورة النمطية ونشأتها.

- **خصائص الصورة النمطية:**

١- عبارة عن تعميمات تستند إلى الشائعات أو آراء خالية من البراهين العلمية والتجريبية، ولذلك فهي قائمة على: أوهام، أو معلومات غير دقيقة، أو خيالات ذاتية متأثرة بتجارب سابقة، أو عن طريق التلقي من وسائل الإعلام.

٢- تميل إلى التكرار والثبات، فتُعاد صياغتها وترويجها بصورة مستمرة حتى تُصبح وكأنها من المسلّمات، رغم بعدها عن الحقيقة.

٣- تقوم تلك الصور غالباً على رفع مقام المصوِّر وتحقير مقام المصوَّر؛ لعدم مسايرته للنسق المتعارف عليه أو لاختلافه عن الشخصية المثالية المزعومة.

٤- تؤثر تلك الصور في الذهن عن طريق تشكيل المعلومات فيه، حيث تقوم بإبراز بعض المعالم وإخفاء غيرها، فيظهر المدرك العقلي منحازاً دون وعي [١].

- **تكون الصورة النمطية:**

يرجع تكون الصور النمطية للعرب والمسلمين في المخيلة الغربية إلى بداية العلاقة التي نشأت بين الإسلام والنصرانية، خلال القرون الأولى لظهور الدين الإسلامي، وقد تطورت هذه الصورة على مدى قرون، ويمكن تقسيمها إلى أربع مراحل رئيسية، وهي ليست منفصلة بل متداخلة ومترابطة:

المرحلة الأولى:

_مرحلة القرون الوسطى، منذ بدء الفتوحات الإسلامية خارج حدود الجزيرة العربية إلى قرب وقوع الحروب الصليبية، وفي هذه المرحلة تشكّلت نظرة الغربيين للإسلام على أنه يدعو إلى العنف والعدوان، ويركز على الشهوات والماديات، خاصة في تصوّره للجنة، وظهر التركيز على تعدد الزوجات، وتصوير المرأة بأنها خادمة لا شريكة [٢].

المرحلة الثانية:

مرحلة الحروب الصليبية وما بعدها، منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي إلى تحلّل القوة الإسلامية وظهور النزعات الاستعمارية في المجتمعات الغربية، وقد تميزت هذه المرحلة بتشكل رؤية شعبية مشبعة بالخيالات، حيث اعتُبر المسلمون وثنيين، ووُصف النبي ﷺ بالساحر وزعيم شعب فاسد [٣].

---

(١) انظر: الصورة الإسلام في الإعلام الغربي لعبد القادر طاش (٢٣)، نماذج من صورة الإسلام والمسلمين في إعلام المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية لعائشة وزوز (٨٤).

(٢) انظر: أوروبا والإسلام لهشام جعيط (١٣).

(٣) انظر: أوروبا والإسلام، هشام جعيط (١٢).

المرحلة الثالثة:

مرحلة الغزو الاستشراقي، مع بداية نشوء حركة الاستشراق[١] التي كانت تمهيداً للمدّ للاستعماري الغربي، واستمرت إلى حصول أغلب الدول العربية والإسلامية على الاستقلال، وفي هذه المرحلة برز الاستشراق كوسيلة لتهيئة الغزو الاستعماري العسكري، من خلال تقديم تصور سلبي عن العرب والمسلمين، وترسيخها في العقل الغربي، الفردي والجماعي.

المرحلة الرابعة:

المرحلة المعاصرة، التي أعقبت خروج الاستعمار العسكري والسياسي من العالم العربي والإسلامي، وتميزت هذه المرحلة بحدة هجمات الغزو الفكري والثقافي على المجتمعات الإسلامية، وتعدد أدواتها مع ازدياد اعتماد الغرب على سيطرته الإعلامية في تشوية صورة الإسلام والعرب داخل مجتمعاته وخارجها [٢].

(١) الإستشراق: وردت عدة تعاريف لمصطلح الاستشراق، من أبرزها:
أنه علم الشرق أو علم العالم الشرقي، ويطلق لفظ "مستشرق" -بالمعنى العام- على كل باحث غربي يشتغل بدراسة الشرق بأكمله: أقصاه ووسطه وأدناه، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه. انظر: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (١٨).
كما عُرّف بأنه: دراسة كل ما يتعلق بشؤون الشرق من جميع الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية وغير ذلك، وقد قيل إن المستشرقين كانوا عوناً للمنصرين في كثير من دراساتهم. انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها لغالب عواجي (٣٩٣).
يتبيّن من هذه التعاريف أن الاستشراق لا يقتصر على الدراسة الأكاديمية، بل يرتبط غالبًا بأهداف دينية أو ثقافية، وهو ما كان له أثر واضح في تشكيل الصورة النمطية عن الإسلام والمسلمين.

(٢) انظر: صورة الإسلام في الإعلام الغربي، عبد القادر طاش (٤٢).

المطلب الثالث: مظاهر الصورة النمطية في الإعلام الغربي:

١- في الكتب المدرسية:

أظهرت الدراسات أن الكتب المدرسة الغربية غالباً ما ترسّخ صورة جامدة وسلبية عن الشعوب الإسلامية وعقائدها، حيث يُصوّر الدين الإسلامي على أنه اختراع بشري انتشر بحد السيف، وأن المسلمين يميلون إلى الحرب والعنف، كما تُقدّم بعض الأحكان الشرعية كالرّق بصورة مشوَّهه على أنها دليل تخلف، ويُصوّر دور المرأة على أنها خادمة للرجل، ولم يحرص واضعوا تلك المناهج على تقديم صورة حقيقة متوازنة، بل سعى كثير منها إلى تبرير الحروب الصليبية باعتبارها دفاعاً عن النفس في مواجهة اضطهاد المسلمين للنصارى.

٢- في السينما والتلفزيون:

تعتمد الوسائط المرئية في الغرب على مفردات خداعة توحي بالموضوعية والدقة، لكنها في حقيقتها تُروّج لصورة مغلوطة. ومن أبرز الأمثلة تأييد وسائل الإعلام الأمريكية لانتهاكات الكيان الصهيوني ضد العرب، وتبرير غزوة على أنه "تحرير لأرض يهودية". وتُقدَّم الاعتداءات على لبنان وفلسطين على أنها جهود لمحاربة "الإرهاب"، مع تغييب متعمد لسياقات الاحتلال والمقاومة[١].

٣- الإسلام فوبيا:

هو مصطلح مركب من "الإسلام" و"فوبيا"، أي الخوف. ويعني الخوف غير العقلاني أو الكراهية تجاه الإسلام والمسلمين.

ويعرّفه قاموس أكسفورد الإسلام فوبيا Islamophobia بأنه شكل من أشكال التمييز ضد المسلمين ودينهم، ويعكس حالة من التعصب لمعتقداتهم وممارساتهم الدينية [٢].

وقد ازدادت حدة هذه الظاهرة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وظهرت مظاهرها في:

السب والافتراء على النبي ﷺ.

ربط أعمال بعض المنحرفين من المسلمين بالإسلام وكأنها واجب ديني.

الادعاء بأن الإسلام سبب تخلف المسلمين لكونه مضاداً للعلم والتقدم.

تبرير العداء على أنه دفاع عن القيم الغربية[٣].

الاعتداء اللفظي والجسدي على المسلمين.

---

(١) انظر: صراع الغرب مع الإسلام لآصف حسين (١٣٣).
(٢) قاموس أكسفورد رابط Islamophobia - Oxford Reference
(٣) انظر: الإسلام لعصرنا لجعفر إدريس (٢٧٨).

الصور النمطية للنبي محمد ﷺ والقرآن الكريم:

حملت الكتابات والمضامين الغربية الكثير من الإساءات المتكررة للنبي ﷺ، ومن أبرزها:

أولاً: اتهامه بالجنون والكهانة والسحر والكذب.
ثانياً: الادعاء بأنه ألّف القران الكريم، وأنه اقتبسه من كتب اليهود والنصارى.
ثالثاً: تصويره ﷺ كرجل حروب وسفك دماء، وأن من اتبعه هم المتوحشون من أهل البادية.
رابعاً: وصف دعوته بأنها محاولة لبناء إمبراطورية لا تبليغ الرسالة، امتلأت بالعنف واحتقار المرأة.
خامساً: الإساءة إليه عبر الرسوم الكاركاتيرية التي تُظهره في صورة شريرة.
سادساً: الادعاء أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قسيساً كاثوليكياً فشل في الترقي الكنسي، أو راعياً بدوياً تلقى تعليمه من راهب سوري وابتكر ديناً هجيناً من العقيدتين المسيحية و اليهودية [١].

ويلاحظ أن أغلب هذه الصور قد غرستها الكنيسة أو كررها المستشرقون، ومن أوائل من روّج لفكرة أن القرآن من تأليف النبي ﷺ الراهب يوحنا الدمشقي[٢] في كتابه الهراطقة De Haerebius دي هاربيوس، والذي أصبح مرجعاً أساسياً لكل الكتّاب النصارى في نقد الإسلام، وقد زعم أن النبي ﷺ كان يعاني من الصرع، وأنه استعان بالراهب بحيرا في تأليف القرآن [٣].

كما كرّر هذه الادعاءات المستشرق جورج سيل في مقدمة لترجمته الإنجليزية لمعاني القرآن الكريم الصادرة عام ١٧٣٦م، حيث قال:

"أما أن محمداً كان في الحقيقة مؤلف القرآن والمخترع الرئيسي له فأمر لا يقبل الجدل"[٤].

---

(١) انظر: صناعة الصورة الذهنية في وسائل الإعلام صورة الرسول محمد ﷺ في الإعلام الأمريكي لطارق العيثاوي، مجلة مداد الآداب، العدد العاشر (٧٨١)، نماذج من صورة الإسلام والمسلمين في إعلام المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، عائشة وزوز (١٠٣). توجد مواقع غربية عنيت بالرد على الصورة النمطية السيئة عن الإسلام والمسلمين، وقد أوردها الدكتور مازن مطبقاني في بحثه "الصورة النمطية للعرب والمسلمين ومواجهتها من خلال الانترنت".

(٢) يوحنا الدمشقي: راهب نصراني، ولد في دمشق سنة ٦٧٥م، عمل في بداية حياته في قصر الخليفة الأموي مع والده حيث كان يعمل في الجباية المالية، ومن ثم أصبح راهباً وكرس حياته قسًّا على يد بطريق القدس، والتحق بدير القديس سابا قريباً من القدس، توفي قبل عام ٧٥٤م، انظر: صراع الغرب مع الإسلام لآصف حسين (٢٧)، الهرطقة المئة (٢٥،٣٣).

(٣) انظر: صراع الغرب مع الإسلام لآصف حسين (٢٧)، الهرطقة المئة (٥٠).

(٤) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري محمود حمدي زقزوق (٨٧).

المطلب الرابع: موقف الغرب من الإسلام:

اتخذ موقف الغرب من الإسلام اتجاهين متباينين:

الموقف الأول: الإنصاف.

ويمثّل هذا الموقف بعض المفكرين الغربيين الذين تعاملوا مع الإسلام بموضوعية، فدرسوه وتعمقوا في معانيه، فوجدوا فيه ما يدعو للإعجاب والتقدير، بل إن بعضهم أعلن إسلامه بعد قناعة عقلية وروحية [١].

يقول المستشرق الفرنسي جاك بيرك:

"إن الإسلام، الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدين به أزيد من مليار نسمة في العالم، والذي هو قريب من الغرب جغرافياً وتاريخياً، وحتى من ناحية القيم والمفاهيم... قد ظل ويظل حتى هذه الساعة، بالنسبة للغرب: ابن العم المجهول، والأخ المرفوض، والمنكور الأبدي، والمبعد الأبدي، والمتهم الأبدي، والمشتبه فيه الأبدي"[٢].

كما يروي الدكتور جرينيبه، الفرنسي الذي أعلن إسلامه، سبب اقتناعه بالدين الإسلامي قائلا:

"إني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، وهي التي درستها من صغري، وأعلمها جيدًا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة فأسلمت؛ لأني تيقنت أن محمدًا عليه السلام أتى بالحق الصراح من قبل ألف سنة، من غير أن يكون له معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلمه جيدًا، كما قارنت أنا، لأسلم بلا شك، إن كان عاقلاً خاليًا من الأغراض"[٣].

الموقف الثاني: العداء والهجوم.

ويمثل هذا الاتجاه أولئك الذين وقفوا موقفاً عدائياً متعصباً تجاه الإسلام، وكان لذلك عدة دوافع تاريخية ودينية وسياسية، **ومن أبرز أسباب هذا العداء:**

كتابات علماء النصارى المتعصبة، التي قامت على الكذب والتحريف والافتراء.

الخوف من زوال السلطة الدينية لطبقة القساوسة بعد رفع المسيح عليه السلام، حيث كانت معرفتهم بأن قبول الإسلام يعني خسارة نفوذهم، مما دفعهم إلى تجاهله عمداً، والسعي لمحاربته.

اعتمادهم في دارساتهم على مصادر غير موثوقة، كأخذ النصوص من المبتدعة، أو الاعتماد على ترجمات مشوّهة للقرآن والسنة.

انحراف هدفهم العلمي، حيث لم يكن غرضهم البحث أو الفهم، بل تحقيق مصالح خاصة وتشويه الإسلام.

التهويل والمبالغة في تصوير كل جوانب الإسلام بصورة سلبية.

---

(١) أوروبا والإسلام، عبد الحليم محمود (٤٩).
(٢) الإسلام والغرب محمد عمارة (٥٦).
(٣) مجلة المنار (٥١٨/١٤)، أوروبا والإسلام عبد الحليم محمود (٨٧)

العداء الأعمى الذي منعهم من رؤية أي جانب إيجابي في الدين الإسلامي.

وقد أسهمت الحروب الصليبية في ترسيخ هذا العداء، حيث استغل أرباب الكنيسة خسائرهم وهزائمهم في تأجيج الكراهية تجاه المسلمين، وتحريض الشعوب الغربية على كره الإسلام، مما أدى إلى تشكل صورة مشوّهة له استمرت وتطورت عبر القرون، وأسهمت بشكل مباشر في موقف الغرب العدائي من الإسلام [١].

يقول المستشرق الاسكتلندي موير:

"أن سيف محمد والقرآن هما أكثر الأعداء الذين عرفهم العالم حتى الآن عناداً ضد الحضارة والحرية والحقيقة" [٢].

يتبين من ذلك أن الموقف العدائي من الإسلام نابع إما من الجهل به أو الحسد لما فيه من نور وهداية، ومن هنا فإن مسؤوليتنا كمسلمين أن نواجه هذه الاتجاهات بالكشف عن صورة الإسلام الحقيقية، وأن نكون قدوة في التزامنا بتشريعاته، سلوكًا وقولًا، لندحض هذه الافتراءات بسلوك عملي حيّ.

(١) انظر: صراع الغرب مع الإسلام لآصف حسين (٣٧).
(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري لمحمود حمدي زقزوق (١٢٤).

المبحث الثاني: صورة الغرب في العالم الإسلامي.

في منتصف القرن التاسع عشر، واجه العالم الإسلامي تدفقاً مادي حضارياً مادياً من الغرب، فرض على المسلمين واقعاً جديداً، تطلّب موقفاً واضحاً تجاه هذه الحضارة، وقد انقسمت المواقف تجاهها إلى ثلاثة اتجاهات، وهي على النحو التالي:

المطلب الأول: الصورة السلبية.

ويمثّلها الاتجاه الرافض لكل ما يأتي من الغرب سواء من علوم أو معارف أو تقنيات، فيرفض كل شيء بشكل عام دون تفريق أو تمييز(١).

وهذا الموقف غير مقبول؛ لما فيه من تضييع العلم والتقدم النافع، كما أنه ناتج عن سوء فهم للدين؛ الذي حضّ على استعمال العقل، والنظر في الكون، وتسخير ما فيه لخدمة الإنسان لخدمة الإنسان قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ سورة الجاثية.١٣.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية:

"وهذا شامل لأجرام السماوات والأرض، ولما أودع الله فيهما، من الشمس والقمر، والكواكب، والثوابت، والسيارات، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمرات، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو معد لمصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراته.

فهذا يوجب عليهم أن يبذلوا غاية جهدهم في شكر نعمته وأن تتغلغل أفكارهم في تدبر آياته وحكمه"(٢).

وكذلك قال في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ سورة الملك:١٥.

"هو الذي سخر لكم الأرض، وذللها، لتدركوا منها كل ما تعلقت به حاجتكم، من غرس وبناء، وحرث، وطرق يتوصل بها إلى الأقطار النائية والبلدان الشاسعة"(٣).

ومن هنا، يتضح أن مَن اتخذ هذا الموقف قد حرم نفسه من الانتفاع بما لا حرج فيه، وقد يكون هذا الرفض ناتجًا عن الربط بين الغرب والاستعمار والتنصير(٤)، فأدى إلى رفض عام لكل ما هو غربي.

---

(١) انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية أبو الحسن الندوي (١٢).
(٢) تيسير الكريم الرحيم (٧١٨).
(٣) المرجع السابق (٨٢٠).
(٤) "حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب". الموسوعة الميسرة للندوة العالمية للشباب الإسلامي (٦٦٥/٢).

المطلب الثاني: الصورة المغالية.

ويظهر هذا الموقف في الانبهار الكامل بالحضارة الغربية، والاستسلام التام لها، بقبول كل ما يأتي منها، سواء من الأنظمة أو القوانين أو الفلسفات المادية، بل وحتى العقائد والأخلاق، مع محاولة تطبيقها في المجتمعات الإسلامية، مهما كلّف ذلك من ثمن.

ومن أبرز أمثلة هذا الاتجاه: تركيا في أواخر القرن التاسع عشر، حين واجهت الحضارة الغربية بصراع داخلي بين فريقين:

فريق من العلماء القدماء الرافضين للتغييرات في التنظيمات العسكرية والإصلاحات الحديثة.

وفريق من الشباب المتحمسين للاندماج بالحضارة الغربية، وقد سعوا إلى محاربة الدين والدعوة إليه، ونجحوا في تغريب تركيا بالكامل، وتبعها عدد من البلدان الإسلامية في ذلك المسار(١).

ويمثل هذا الموقف(٢):

أ- الشيعة الاثنا عشرية الرافضة (٣): حيث يرون اليهود والنصارى أقرب إليهم من المسلمين، بل يعتبرون مخالفيهم من المسلمين نواصب وأشد كفراً، مما يدفعهم إلى التعاون مع الغرب في بعض الأحيان، مع ما يحكمهم من عقيدة "التقية".

ب- النصارى العرب: يربطون هويتهم بالغرب، ويعدّون من أدواته في تفكيك المجتمعات الإسلامية(٤)، ويحرصون على نشر أفكارهم ومؤلفاتهم تحت مظلة العروبة والوطن، ويلحق بهم ممن انتسب للإسلام سواء كان منهزم نفسياً أو جاهلاً أو مرتداً أو ملحدًا.

ج- المستغربون من المنتسبين للإسلام: كطه حسين(٥)، وعلي عبد الرازق(٦)، وقاسم أمين(٧)، وغيرهم، ممن دعوا إلى السير خلف الغرب في كل شيء. يقول طه حسين:

---

(١) انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية أبو الحسن الندوي (٣٩).
(٢) انظر: مجلة جامعة القصيم مقال الحواجز بين المسلمين والغرب لناصر القفاري (٨٨٨ وما بعدها).
(٣) فرقة شيعية غالية، من عقائدهم القول بإمامة علي ﷺ بعد النبي ﷺ والأحد عشر من بنيه، والقول بتحريف القرآن وتكفير عامة الصحابة، وتعد من أكبر فرق الشيعة الموجودة حالياً. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١٣٠/١)، الشيعة والتشيع إحسان إلهي ظهير (٢٦٩).
(٤) انظر: صراع الغرب مع الإسلام لآصف حسين (٩٧).
(٥) طه بن حسين بن علي بن سلامة، الدكتور في الأدب: من كبار المحاضرين. ولد سنة ١٣٠٧هـ، جدد مناهج، وأحدث ضجة في عالم الأدب العربيّ، كان من دعاة الليبرالية، توفي سنة ١٣٩٣ه. من مؤلفاته: في الأدب الجاهلي. انظر: الاعلام للزركلي (٢٣٢/٣).
(٦) علي بن حسن بن عبد الرزاق، باحث من أعضاء مجمع اللغة العربية، ولد سنة ١٣٠٥هـ، تعلّم بالأزهر، ألف كتاب "الإسلام وأصول الأحكام" فسحبت منه شهادة الأزهر، توفي سنة ١٣٨٦هـ، من مؤلفاته: الإجماع في الشريعة الإسلامية. انظر الأعلام للزركلي (٢٧٦/٤).
(٧) قاسم بن محمد أمين المصري: كاتب باحث، كردي الأصل ولد سنة ١٢٧٩هـ، اشتهر بمناصرته للمرأة ودفاعه عن حريتها، توفي سنة ١٣٢٦هـ، من مؤلفاته: تحرير المرأة. انظر: الاعلام للزركلي (١٨٤/٥).

"نسير سير الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون أندادًا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يجب منها وما يكره وما يحمد وما يعاب"(١).

المطلب الثالث: الصورة المعتدلة.

ويمثل هذا الاتجاه الواعي الذي لا ينبهر بالحضارة الغربية، ولا يرفضها جملة، بل يتعامل معها بميزان الشرع، فيأخذ منها ما لا يتعارض مع الدين، ويستفيد مما فيها من تقدم علمي وتقني وتجريبي، دون ذوبان أو تبعية(٢).

وينبغي أن نأخذ منهم ما يفيدنا ببصمة خاصة بنا، لا بمجرد تقليد، وأن نكون في موقف عزّة واستعلاء، كما قال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ المنافقون: ٨.

وقد مثّل هذا الاتجاه الجيل الأول من المسلمين الذين نقلوا علوم فارس والروم دون أن يذوبوا فيها، يقول سيد قطب: "كان ملء نفوسهم الاستعلاء بالإيمان والاعتزاز به فلم يشعروا - وهم ينقلون عن الإغريق والرومان والفرس - أنهم أقل منهم ولم يشعروا بالضآلة أمامهم أو بالذلة لهم لأنهم في حاجة إليهم بل شعروا أنهم هم الأعلون وإن كانوا في حاجة إلى غيرهم لأنهم مؤمنون وغيرهم ليسوا مؤمنين.

ومن أجل ذلك لم يفتنوا ولم ينبهروا بما عند الجاهليات من حولهم، فأخذوا ما أخذوا في عزة وأخذوا ما رأوه نافعا لهم ولم يأخذوا ما رأوه مخالفا لدينهم وعقيدتهم؛ لأن موقف الاستعلاء يتيح لهم أن يتخيروا وينتقوا بينما موقف الضعيف والاستخذاء والانبهار لا يتيح لصاحبه الفرصة للاختيار ولا القدرة على الاختيار فيأخذ الغث والثمين لا يتيح لصاحبه الفرصة للاختيار ولا القدرة على الاختيار فيأخذ الغث والثمين ويأخذ من الغث أكثر مما يأخذ من الثمين لأنه أيسر أخذا وأقل تكاليف!

لذلك لا نعجب إذا رأينا المسلمين الأوائل رغم تمكنهم من الإغريقية إلى الحد الذي ترجموا به كثيرا من مؤلفاتهم لم يترجموا الأساطير الإغريقية ولم يعنوا بها أي عناية بل رأوها شركاً وخرفاه لا تستحق النقل ولا تستحق الاعتبار!

كذلك كان شأنهم في الجانب المادي والتنظيمي... أخذوا ما وجدوا أنفسهم في حاجة إليه دون أن يأخذوا ما كان مشتبكا به عند أصحابه من شرك وخرافة ووثنية وانحراف في الأفكار أو انحراف في السلوك.

ثم إن الذى أخذوه - وكله في مجال الأدوات ولا في مجال الأس والمناهج - طوعوه سريعا لمنهجهم الخاص في الحياة فأصبحوا أصلاء فيه لا مقلدين إن الإصالة أمر له أهميته البالغة في وقت النقل عن الغير بصفة خاصة. فالأصالة لا تمنع الاستفادة من ثمار العلم وثمار الحضارة المادية - التي هي في نهاية جهد بشرى مشترك تتداوله الأمم وتتداوله الأجيال - ولكنها تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل.

وأوثق أسباب الأصالة أن يكون الإنسان صاحب عقيدة وصاحب منهج خاص في الحياة. وقمة ذلك أن يكون الإنسان مسلما؛ لأنه يكون عندئذ صاحب العقيدة الصحيحة ومنهج الحياة الصحيح. فإذا كان مسلما

---

(٢) انظر: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية أبو الحسن الندوي (٢١٩).

على النحو الذي كانت عليه الأجيال الأولى فقد تحققت له الأصالة في أعلى قممها لا التي تمنع الذوبان وفقدان الشخصية بتأثير النقل فحسب بل التي سرعان ما تكتسب الحاسة الخاصة وتنتقل في فترت وجيزة من الزمن من التتلمذ إلى التمكن إلى الأستاذية"[١].

(١) واقعنا المعاصر لسيد قطب (٩٧).

المبحث الثالث: صراع الحضارات ونهاية التاريخ.

المطلب الأول: مفهوم الصراع:

الصراع لغة:

ورد في مقاييس اللغة أن مادة (صَرَعَ) تدل على السقوط والانهيار نتيجة مواجهة بين طرفين، ويقال: "صرعت الرجل صرعا، وصارعته مصارعة"، فهو صريع، كما يقال وهما صِرْعَانِ: أي يتصارعان حتى السقوط، ومَصَارِعُ النّاس: هي مواضع سقوطهم(١).

الصراع في الاصطلاح السياسي الحديث:

اكتسب مصطلح "الصراع" دلالة سياسية واسعة منذ القرن التاسع عشر، حين بدأ يُتداول كإطار نظري ضمن الخطاب الأيدلوجي، وقد ورد ضمن البيان الشيوعي(٢) لماركس وانجلز، وأصبح جزءاً من الأدبيات الثورية التي تناولت التاريخ كم زاوية الصراع الطبقي.

وقد جاء في (الموسوعة السياسية) أن الفكرة الحديثة لصراع الطبقات ترجع جذورها إلى الثورة الفرنسية، غير أن النظرية الكاملة استُمدت من طرح ماركس وانجلز في البيان الشيوعي، حيث قالا:

"إن تاريخ المجتمع كلَّه حتى اليوم هو تاريخ صراع الطبقات"

ويُلاحظ في هذه العبارة التأكيد على لفظ (كلَّه)، الذي يدل على الشمول وينفي الاستثناء، ويُعبر عن رؤية شمولية تحوّل الصراع إلى قاعدة مفسرة لكل تحولات التاريخ البشري

وهذا النمط من التفكر الشمولي لم يقتصر على الفكر الماركسي، بل يتكرر بصور مختلفة عند بعض المفكرين الغربيين المعاصرين الذين يروّجون لفكرة "الصراع" أو "الصدام" بين الحضارات والثقافات.

في كل زمان ومكان، سواء أكان شيوعياً أم رأسمالياً، وهو التعبير نفسه الذي يرد عند المفكرين المروجين اليوم للصراع أو الصدام بين الحضارات والثقافات"(٣).

مفهوم الحضارات:

الحضارة لغة:

من مادة (حضر)، وهي ضد البدو، فسكون الحضر يُسمّى حضارة. ومنه قول الشاعر:

---

(١) انظر: مقاييس اللّغة لابن فارس (٣٤٢/٣).

(٢) الشيوعية: نظام يقوم على إلغاء الملكية الفردية، وعلى حق الناس في الاشتراك في المال والنساء. والشيوعية الماركسية: حركة فكرية، واقتصادية، يهودية، إباحية، وضعها كارل ماركس تقوم على الإلحاد، وإلغاء الملكية الفردية، وإلغاء التوارث، وإشراك الناس كلهم في الإنتاج على حد سواء. انظر: رسائل في مذاهب فكرية معاصرة لمحمد الحمد (٩٨).

(٣) صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي لعبد العزيز التويجري (٤).

فمن تكن الحضارة أعجبته ... فأيّ رجال بادية ترانا![١]

الحضارة اصطلاحاً:

عرّف ابن خلدون الحضارة بأنها:

"تفنّن في التّرف وإحكام الصّنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله"[٢].

ويلاحظ أن تعريف ابن خلدون ركز على الجانب المادي من الحضارة، ومع مرور الزمن توسع مفهوم الحضارة ليشمل الجوانب المعنوية كذلك.

ومن أوسع التعريفات وأكثرها شمولاً:

"أنها تعبير عن منظومة العقائد والقيم والمبادئ، وجماع النشاط البشري في شتى حقول الفكر والعلوم والآداب والفنون جميعاً، لا فرق بين فن وآخر، وما يتولّد عن ذلك من ميول ومشارب وأذواق تصوغ نمطاً للسلوك، وأسلوباً للحياة، ومنهجاً للتفكير، ومثالاً يحتذى ويقتدى به ويسعى إليه"[٣].

وللتمييز بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية لا بد من معرفة خصائص كل منهما.

أولاً: الحضارة الإسلامية:

تعريفها:

هي "عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني فيدخل في ذلك الجوانب المادية والتنظيمية وتدخل فيه القيم التي يحملها هذا الدين غير منفصلة هذه عن تلك"[٤].

خصائص الحضارة الإسلامية:

١- حضارة توحيدية، تقوم على الإخلاص لله ظاهراً وباطناً، والإيمان بالغيب.
٢- ربانية التشريع، فهي تملك ثروة فقهية هائلة، تغطي كل نوازل الحياة، وتراعي مقاصد الشريعة، وتتيح الاجتهاد ضمن ضوابطه.
٣- حضارة إنسانية، تشمل جميع بني آدم، لا تميّز على أساس عرق أو لون، بل تحفظ كرامة الإنسان أيّاً كان دينه.
٤- حضارة عدل، والعدل فيها قيمة مطلقة لا تتبدل، وقد تجلى ذلك في سيرة النبيﷺ وخلفائه الراشدين.
٥- حضارة تنوع لا صراع، فهي لا تعرف التناقض الداخلي، بل تنسجم فيها الجوانب المختلفة، بخلاف حضارة الغرب التي قامت على صراع داخلي بين الدين والعلم[٥].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة لابن فارس (٧٦/٢).
(٢) مقدمة ابن خلدون (٢١٦/١).
(٣) خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل لعبد العزيز التويجري منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (٤).
(٤) واقعنا المعاصر لسيد قطب (٩٤).
(٥) انظر: المسلمون والحضارة الغربية لسفر الحوالي (١٥٠).

ثانياً: الحضارة الغربية:

يصفها أبو الحسن الندوي بأنها خليط من الصواب والخطأ، والسليم والسقيم، ويعرّفها تعريفاً شاملاً بقوله:

"مجموع عقائد ومناهج فكرية، وفلسفات ونظم سياسية واقتصادية، وعلوم طبيعية وعمرانية اجتماعية، وتجارب خاصة مرت بها الشعوب الأوربية التي تزعمت هذه الحضارة في رحلتها الطويلة، وكانت مظهر تقدم العلم البشري وعلوم الطبيعة وعلم الآلات والعلوم الرياضية، ومجموع نتائج جهود علماء وباحثين عبر القرون"[١].

وقد قامت الحضارة الغربية المعاصرة على خصائص فكرية عميقة الجذور تعود أصولها إلى الحضارة اليونانية والرومانية، وشكلت أساساً مميزاً لها، ومن أبرز هذه الخصائص:

١- الشرك في الألوهية: إذ لا يقوم الفكر الغربي الحديث على توحيد الله تعالى، بل يتسم بالاضطراب العقدي وتعدد التصورات حول الإله، بل وإنكار وجوده أحيانًا.

٢- النزعة المادية، وهي السمة الغالبة في تفسير الكون والمعرفة والسلوك، حيث يُفسَّر كل شيء بالمادة وحدها، ويُنكر الغيب وما وراء الحس.

٣- العلمانية[٢]، وهي من ثمار الخصيصتين السابقتين ولوازمهما، وهي تلك النزعة التي تفصل بين الدين والحياة الاجتماعية، وتجعل الشريعة خارج المجال العام.

٤- الصراع، فالحضارة الغربية بُنيت على صراعات متعددة، سواء بين الإنسان والطبيعة، أو بين الإنسان ونفسه، أو بينه وبين الآخرين، بل وحتى بين الإنسان والإله، فالصراع في منظومتها ليس استثناءً بل هو أصل.

٥- الاستعلاء على الآخر، حيث تنظر إلى ذاتها على أنها مركز الحضارة الوحيدة الجديرة بالاتباع، وتُنكر على غيرها حقهم في التميز.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الخصائص لا تقتصر على التاريخ الحديث، بل تمتد في عمق الحضارة الغربية، قديمها ومعاصرها [٣].

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية (١١).

(٢) حركة تدعو إلى فصل الدين عن الحياة، سواء بالنسبة للأمة أو الفرد، وتختلف المجتمعات في موقفها من الدين بمفهومه الضيق المحدود: فبعضها تسمح به كالمجتمعات الديمقراطية الليبرالية، وتسمي منهجها العلمانية المعتدلة غير معادية للدين، مقابل العلمانية المتطرفة المضادة للدين كالمجتمعات الشيوعية وما شابهها. انظر: العلمانية لسفر الحوالي (٢٤).

(٣) انظر: الإسلام حضارة الغد ليوسف القرضاوي (١٣، وما بعدها)، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل لعبد العزيز التويجري منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (١١).

المطلب الثاني: نشأة نظرية الصراع.

بدأ الصراع والعداء الغربي تجاه الإسلام منذ ظهوره، كما قال تعالى:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ **وقد قال ابن كثير في تفسير هذه الآية:**

"يحذر تعالى عباده المؤمنين عن سلوك طرائق الكفار من أهل الكتاب، ويُعلِمُهُم بعداوتهم لهم في الباطن والظاهر وما هم مشتملون عليه من الحسد للمؤمنين، مع عِلمِهِم بفضلهم وفضل نبيهم"[١].

وقد تصاعدت حدة الصراع بعد الحروب الصليبية، حيث مثّلت تلك المرحلة نقطة تحوّل مفصلية في تشكيل الوعي الغربي تجاه الإسلام.

يقول محمد أسد في وصفة ل لتلك المرحلة:

"إن الاصطدام العنيف الأول بين أوروبة المتحدة من جانب وبين الإسلام من الجانب الآخر - أي الحروب الصليبية - يتفق مع بزوغ فجر المدينة الأوروبية.

في ذلك الحين أخذت هذه المدينة - وكانت لا تزال على اتصال بالكنيسة - تشق سبيلها الخاص بعد تلك القرون المظلمة التي تبعت انحلال رومية.

حينذاك بدأت آداب أوروبة ربيعا منوراً جديداً...

ولقد استطاعت أوروبة أن تتملص من تلك الأحوال الخشنة في أوائل القرون الوسطى، ثم اكتسبت وعيا ثقافيا جديدا، وعن طريق الوعي كسبت أيضا حسا مرهفا.

ولما كانت أوروبة في وسط هذا المأزق الحرج، حملتها الحروب الصليبية على ذلك اللقاء العدائي بالعالم الإسلامي.

لقد كان ثمة حروب بين المسلمين والأوروبيين قبل عصل الحروب الصليبية: كانت فتوح العرب في صقلية والأندلس، وكان هجومهم على جنوب فرنسة، ولكن هذه المعارك كانت قبل أن تستيقظ أوروبة إلى وعيها الثقافي الجديد، فاتسمت من أجل ذلك، ومن وجهة النظر الأوربية على الأقل، بطابع ذي نتائج محلية، ولم تكن تلك المعارك قد فُهمت بعد على وجهها الحقيقي.

إن الحروب الصليبية هي التي عينت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوروبة من الإسلام لبضعة قرون تتلو، ولقد كانت الحروب الصليبية في ذلك حاسمة؛ لأنها حدثت في أثناء طفولة أوروبة، في العهد

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٦٤/١).

الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تَعرض نفسها، وكانت لا تزال في طور تشكلها، والشعوب كالأفراد، إذا اعتبرنا أن المؤثرات العنيفة التي تحدث في أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهرا أو باطنا مدى الحياة التالية.

وتظل تلك المؤثرات محفورة حفراً عميقاً، حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية في الدور المتأخر من الحياة، والمتسم بالتفكير أكثر من اتسامه بالعاطفة أن تمحوها إلا بصعوبة، ثم يندر أن تزيلها تماما"[١].

وقد طُرحت لاحقاً العديد من النظريات الغربية التي تنظر إلى العلاقة بين الحضارات نظرة صدامية، واعتبرت الصراع بين الحضارات حتمياً، ومن أبرز من تبنّى هذا الطرح المفكر الأمريكي صامويل هنتنغتون اليهودي، الذي أصدر عام ١٩٩٦م كتابه الشهير "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي".

- من أبرز ما أورد هنتغون في كتابه:

١- فصل "العالمية الغربية":

يقول فيه:

"لن تكون العلاقات بين الدول والجماعات التي تنتمي إلى حضارات مختلفة علاقات وثيقة، بل غالباً ما ستكون عدائية ...

ومن المرجح أن تنشأ أخطر الصراعات في المستقبل نتيجة تفاعل الغطرسة الغربية والتعصب الإسلامي والتوكيد الصيني.

من بين جميع الحضارات، فإن الحضارة الغربية هي الوحيدة التي كان لها تأثير رئيسي وأحياناً مدمر على كل الحضارات الأخرى.

العلاقة بين قوة وثقافة الغرب، وقوة وثقافة الحضارات الأخرى هي - نتيجة لذلك - السمة الأكثر ظهورا في عالم الحضارات. ومع زيادة القوة النسبية للحضارات الأخرى يقل التوجه نحو الثقافة الغربية، وتزداد ثقة الشعوب غير الغربية بثقافتها الأصلية والالتزام بها.

المشكلة الرئيسية في العلاقات بين الغرب والباقي بالتالي، هي التنافر بين جهود الغرب - وبخاصة أمريكا - لنشر ثقافة غربية عالمية وانخفاض قدرته على تحقيق ذلك، وقد فاقم سقوط الشيوعية من هذا التنافر بأن قَوَّى في الغرب النظرة إلى أن أيديولوجيته الليبرالية[٢] الديمقراطية[٣] قد انتصرت كونياً وبالتالي أصبحت صالحة لتعميمها عالميا"[٤].

٢- فصل" السياسية الكونية للحضارات":

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق (٥٤،٥٥).

(٢) مذهب فكري يركز على الحرية الفردية، ويرى وجوب احترام استقلال الأفراد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية لدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير والتعبير والملكية الخاصة والحرية الشخصية وغيرها، وقد أطلق المصطلح على كمذهب سياسي واقتصادي وكحركة فكرية. انظر: حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها لعبد الرحيم السلمي (١٠١)

(٣) مصطلح ونظام سياسي يجعل الشعب مصدر السلطات؛ فالسلطة التنفيذية، والتشريعية، والقضائية تنبثق من الشعب وتحكم باسم الشعب، وتستلزم إعطاء الحريات للناس كحرية العقيدة والرأي والتملك والحرية الشخصية. انظر: رسائل في مذاهب فكرية معاصرة لمحمد الحمد (٢٧٥).

(٤) صراع الحضارات (٢٩٣).

"المشكلة المهمة للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام: فهو حضارة مختلفة، شعبها مقتنع بتفوق ثقافته وهاجسه ضآلة قوته"(١).

٣- فصل "الغرب.. الحضارات.. الحضارة":

يقول: "جميع الحضارات تمر بعمليات مشابهة من البزوغ والنهوض والانهيار، والغرب يختلف عن الحضارات الأخرى، ليس في طريقة تطوره وإنما في الطبيعة المميزة لقيمه ومؤسساته، وهذه تضم مسيحيته، تعدديته، فردانيته، وحكم القانون، وهي الأمور التي مكنت الغرب من اختراع الحداثة والتوسع في أرجاء العالم ومن أن يصبح محل حسد المجتمعات الأخرى ...

كما أن الحضارة الغربية ذات قيمة لا لأنها عالمية؛ وإنما لأنها فريدة، وبالتالي فإن المسئولية الرئيسية على قادة الغرب ليست هي محاولة إعادة تشكيل الحضارات الأخرى على صورة الغرب، وهذا ليس في مستطاع قدراتهم المتدهورة، وإنما في لحفاظ على الصفات الفريدة للثقافة الغربية وتجديدها، ولأن الولايات المتحدة هي أقوى دولة غربية، فإن هذه المسئولية بكاملها على عاتقها"(٢).

ومن خلال مجمل كلامه، يتضح أن الغرب - وتمثله الولايات المتحدة الأمريكية - يسعى للهيمنة على العالم عبر نشر النموذج الليبرالي والديمقراطي، مع إدراكه العميق بأن الإسلام هو العقبة الكبرى أمام هذا المشروع، لما يحمله من منهج رباني عادل وتشريعات منضبطة تخالف الأسس الفلسفية الغربية.

موقف الإسلام من قضية صراع الحضارات:

في مقابل هذه الرؤية الغربية القائمة على الصدام والهيمنة، فإن الإسلام لا يقرّ "الصراع" بوصفه حتمية تاريخية، بل يقرّ مبدأ التدافع، وهو اختلاف طبيعي بين الحق والباطل، ووسيلة لتحقيق التوازن والعدل في الأرض، لا الإلغاء والاستئصال (٣).

قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ سورة البقرة: ٢٥١

أي "لولا أن الله تعالى يدفع أهل الباطل بأهل الحق، وأهل الفساد في الأرض بأهل الإصلاح فيها لغلب أهل الباطل والإفساد في الأرض وبغوا على الصالحين وأوقعوا بهم حتى يكون لهم السلطان وحدهم، فتفسد الأرض بفسادهم، فكان من فضل الله على العالمين وإحسانه على الناس أجمعين أن أذن الله لأهل دينه الحق المصلحين في الأرض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبغاة المعتدين، فأهل الحق حرب لأهل الباطل في كل زمان والله ناصرهم ما نصروا الحق وأرادوا الإصلاح في الأرض"(٤).

---

(١) صراع الحضارات (٣٥٢).
(٢) صراع الحضارات (٥٠٣).
(٣) انظر: صراع الحصارات في المفهوم الإسلامي لعبد العزيز التويجري منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (١٢).
(٤) اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٥١/٣) المجموعة الثانية.

فالإسلام لا يدعو إلى الصراع لأجل السيطرة أو الطغيان، بل يدعو إلى التدافع المشروع، الذي يهدف إلى نصرة الحق، ورفع الظلم، وتحقيق التوازن، وليس إلى الإقصاء أو الاستعلاء.

المبحث الرابع: نهاية التاريخ

المطلب الأول: مفهوم نهاية التاريخ.

أولاً: تعريف التاريخ لغة:

ورد في لسان العرب أن مادة (أرخ): تدل على تعريف الوقت، ويُقال: أرّخ الكتاب ليوم كذا: أي وقّته، والتّأريخ هو التوقيت وتحديد الزمان(١).

ثانياً: تعريف التاريخ اصطلاحاً:

عرفه ابن خلدون في مقدمته بقوله:

"خبر عن الاجتماع الانسانيّ، الّذي هو عُمرانُ العالَم، وما يعرضُ لطبيعة ذلك العُمران من الأحوال، مثل التّوحّش والتّأنّس، والعصبيّات، وأصنافِ التَّغَلُّبَاتِ للبشر بعضهم على بعض، وما ينشأ عن ذلك من المُلك والدُّولِ ومراتبها، وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش، والعلوم والصّنائع، وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال"(٢).

والمقصود بـ(نهاية التاريخ) في هذا السياق ليست النهاية الأخروية المرتبطة باليوم الآخر، وإنما المقصود بها النهاية الدنيوية التي تحدث عنها المفكرون والفلاسفة الغربيون، حين تخضع حركة التاريخ -وقف تصوراتهم- لمسار محدد يُفضي في نهاية المطاف إلى نموذج حضاري موحد.

نظرية نهاية التاريخ اصطلاحاً:

منذ عصر النهضة تزايد اهتمام المفكرين والفلاسفة بتفسير مسار التاريخ الإنساني وفق رؤية مادية حتمية، ترى أن حركة التاريخ لا تقاد بالإرادة البشرية، بل بعوامل مادية بحته، كوسائل الإنتاج، والغريزة البشرية في التملك أو القتال.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤/٣).
(٢) مقدمة ابن خلدون (٤٦/١).

وفي هذا الإطار، روّج لفكرة أن التاريخ يسير في اتجاه محدد تحكمه قوانين صارمة، وأن نهايته ستكون عند الوصول إلى نظام عالمي يحقق "الاكتمال" و"الاستقرار" المادي، فالتاريخ -في نظرهم- ليس ساحة للتعدد والتفاعل، بل مسار حتمي ينتهي عند نقطة نهائية ثابتة [١].

وقد لخص الدكتور عبد الوهاب مسيري هذا المفهوم بقوله:

"أنّ التاريخ، بكل ما يحويه من تركيب وبساطة، وصيرورة وثبات، وشوق وإحباط، ونبل وخساسة، سيصل إلى نهايته في لحظة ما، فيصبح سكونياً تماماً، خالية من التدافع والصراعات والثنائيات والخصوصيات، إذ إن كل شيء سيُردُّ إلى مبدأ عام واحد يُفسر كل شيء (لافرق في هذا بين الطبيعي والإنساني). وسيُسيطر الإنسان سيطرة كاملة على بيئته وعلى نفسه، وسيجد حلولاً نهائية حاسمة لكل مشاكله وآلامه"[٢].

ويرى المفكر الأمريكي ذو الأصول اليابانية فرانسيس فوكوياما أن التاريخ ليس سلسلة مفتوحة من الأحداث المتفرقة، بل هو خط حركي له بداية ونهاية، تتتابع فيه الوقائع بصورة تُوحي بأنها تسعى نحو تحقيق "كمال" ما. ويقصد بهذا الكمال: الوصول إلى النظام الليبرالي الديمقراطي الأمريكي، الذي يمثّل – في نظره – الشكل النهائي الأمثل لنظام الحكم، وبالتالي، فإن تحقق هذا النظام يعني نهاية التاريخ [٣].

وبذلك، تتقاطع معظم التعريفات الغربية لمفهوم "نهاية التاريخ" عند نقطة واحدة، وهي أن العالم سيتوصل في نهاية المطاف إلى نظام موحد، قادر على حل جميع إشكالات البشرية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، دون الحاجة إلى البحث عن بدائل أخرى.

(١) انظر: الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ لعبد الوهاب مسيري (٢٦٢).
(٢) المرجع السابق (٢٥٨).
(٣) انظر: نهاية التاريخ والإنسان الأخير فرانسيس فوكوياما (٨،٢٦١).

المطلب الثاني: نشأة نظرية نهاية التاريخ.

برزت نظرية "نهاية التاريخ" في الفكر الغربي الحديث بشكل واضح بعد صدور كتاب فرانسيس فوكوياما "نهاية التاريخ"، وقد حاول فوكوياما من خلال هذا الكتاب أن يفرض تصوراً أحادياً لمسار التاريخ البشري، ينتهي ببلوغ نموذج الحكم الليبرالي الأمريكي، باعتباره الصيغة النهائية والمثالية لتطور الأنظمة السياسية.

ويعد كتابه هذا من أهم ما صدر على الصعيد الأيديولوجي[١] في الغرب، وليس لتميزه أو غزارة مادته، بل لأنه جاء كتجديد للدعوة إلى الليبرالية الغربية، بعد سقوط الاتحاد السوفيتي وانتهاء الحرب الباردة، في محاولة لإعلان تفوقها وكونها البديل الوحيد المتبقي، دون منافس إيديولوجي أو عسكري أو سياسي [٢].

وقد استند فوكوياما في بناء نظريته إلى آراء عدد من الفلاسفة، من أبرزهم هيغل الذي رأى أن للتاريخ "روحًا" تدفعه نحو التطور، وأنه لا بد أن يبلغ لحظة اكتمال هي "لحظة النهاية"، وكانط الذي حلم بعالم يسوده السلام، ودولة عالمية واحدة، يتحول فيها الإنسان إلى "مواطن عالمي".

وكما تأثر هيجل وكانط بالثورة الفرنسية وألهمتهما أفكارًا مثالية حول تطور الإنسان والمجتمعات، فإن فوكوياما تأثر بلحظة انهيار المعسكر الشيوعي، وظن أنها إعلان عن انتصار الليبرالية كخاتمة حتمية للتاريخ البشري.

وانطلاقًا من هذه اللحظة، توقّع فوكوياما عالمًا جديدًا، تنتشر فيه الأفكار الليبرالية، ويترسخ فيه النظام الديمقراطي، ويعمّ فيه النمو الاقتصادي، وتُلبى الحاجات الإنسانية، ومن ثم تختفي الحروب والعلاقات التصادمية تدريجيًا [٣].

---

(١) "أيديولوجيَّة [مفرد]: أيديولوجيَّات: مجموعة الآراء والأفكار والعقائد والفلسفات التي يؤمن بها شعب أو أمّة أو حزب أو جماعة". معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار (١٤٤).

(٢) انظر: نهاية التاريخ لفوكوياما (٥).
(٣) انظر: المشترك الإنساني لراغب السرجاني (٦٩٨).

يقول فوكوياما: "كلما اقتربت الإنسانية من نهاية الألف الثاني فإنه يلاحظ أن الأزمتين المزدوجتين التسلطية والاشتراكية، لم تتركا في ساحة المعركة إلا إيديولوجيا واحدة محتملة ذات طابع شمولي: هي الديمقراطية اللبرالية، عقيدة الحرية الفردية والسيادة الشعبية"(١).

كما اعتبر الإسلام أحد التحديات الأيدلوجية الأخيرة في وجه لليبرالية، فقال:

"صحيح أن الإسلام يُشَكِّل أيديولوجيا آخر متماسكاً، شأن الليبرالية والشيوعية، وأن له نظامه الأخلاقي الخاص وعقيدته الخاصة في العدالة السياسية والاجتماعية. فدعوة الإسلام ذات طابع شمولي وهي تتوجه إلى جميع الناس كبشر ليس فقط باعتبارهم أعضاء في مجموعة اثنية أو قوميةٍ خاصة، والإسلام في الواقع هزم الديمقراطية الليبرالية، حتى في البلدان حيث لم يستطع استلام السلطة فيها مباشرة، لقد تلا نهاية الحرب الباردة في أوروبا مباشرة تحدٌّ للغرب من قبل العراق، الذي نستطيع القول بإن الإسلام قد شكل فيه عاملاً بارزاً.

وبالرغم من القوة التي أبداها الإسلام في تجدده الحالي، إلا أن هذا الدين لا يبدو أنه يمارس أية جاذبية خارج الأصقاع التي كانت إسلامية ثقافياً منذ بدايتها. فقد ولى زمن الغزو الثقافي للإسلام كما يبدو، انه يستطيع استعادة بلدان فلتت منه لفترة، ولكنه لا يقدم أبداً الاغراءات لشبيبة برلين، طوكيو، باريس، أو موسكو، إذا كان هناك مليار من الناس تقريباً ينتمون للثقافة الإسلامية (أي خمس تعداد سكان العالم)، فإنهم لن يتمكنوا من منافسة الديمقراطية الليبرالية في عقر دارها في مجال الأفكار. وعلى المدى الطويل قد يبدو العالم الإسلامي أكثر تعرضاً للأفكار الليبرالية مما هو العكس، لأن لهذه الأفكار عدداً كبيراً وقوياً من المؤيدين في العالم الإسلامي تعاقبوا على مرّ السنين المئة والخمسين الماضية، ويعود جزء من سبب التجدّد الأصولي الراهن إلى قوة التهديد الذي تمارسه قيم الغرب الليبرالي على المجتمعات الإسلامية التقليدية"(٢).

لكن ما يُلاحظ على فوكوياما أنه قدّم نظريته بصورة تقريرية جامدة، دون أن يُراعي التحقق من المقدمات أو يُحكِّم الأدلة الواقعية والتاريخية. فقد استعان بآراء فلسفية وانتقائية، واعتبر "النهاية" أمرًا مسلمًا به، دون فتح أي مجال لمراجعة مقدماته أو مساءلتها (٣).

والواقع بعد مرور أكثر من ثلاثين عامًا على نشر هذه النظرية يُظهر تخلخل فرضياتها، حيث لا تزال الصحوة الإسلامية في تمدد، والليبرالية الغربية تعاني من أزمات أخلاقية واجتماعية متصاعدة في المجتمعات الإسلامية والغربية على السواء.

وقد عبّر المفكر صامويل هنتنغتون عن هذه المفارقة، حين رفض رؤية فوكوياما، وأكّد أن المسلمين لن يتغرّبوا أبدًا، لكنّه – في المقابل – فسر ذلك تفسيرًا صداميًا متطرفًا، اعتبر فيه الإسلام حضارة لا يمكن التعايش معها، مما فتح الباب لنظرية "صدام الحضارات (٤).

(١) نهاية التاريخ لفوكوياما (٦٨).
(٢) صراع الحضارات (٧١).
(٣) انظر: صراع الحضارات (٧).
(٤) انظر: المشترك الإنساني لراغب السرجاني (٧٠٤).

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

بعد استعراض المباحث الأربعة المتعلقة بصورة الإسلام في الغرب، وموقف المسلمين من الحضارة الغربية، وما تبع ذلك من نظريات فكرية كصراع الحضارات ونهاية التاريخ، توصل البحث إلى النتائج الآتية:

١- الصورة النمطية هي مجموعة من الأحكام والأفكار الجامدة، المتعصبة، والمبسطة، التي كوّنها الغرب عن الإسلام والمسلمين، غالبًا دون أساس علمي أو موضوعي، بل انطلقت من خيالات شخصية أو انطباعات إعلامية أو تجارب سابقة مشوّهة.

٢- تكونت الصورة النمطية منذ بدايات التفاعل بين الإسلام والمسيحية في القرون الأولى، وتطوّرت وتكرّست عبر الحروب الصليبية والاستعمار وحركة الاستشراق، ولا تزال تتجدد بوسائل معاصرة.

٣- تنوّعت مواقف الغرب تجاه الإسلام إلى موقفين رئيسين:

موقف منصف معتدل، يمثله عدد من المفكرين الغربيين الذين اقتربوا من الإسلام بصدق علمي، بل إن بعضهم اعتنقه.

موقف معادٍ هجومي، نتج عن تعصّب ديني وتحريفات تاريخية، وتغذّى على الأكاذيب والتشويه المنظم، خاصة من قبل رجال الدين النصارى والمتعصبين.

٤- أما مواقف المسلمين تجاه الحضارة الغربية فقد تعددت إلى:

موقف سلبي رافض لكل ما يأتي من الغرب، بما فيه العلوم والتقنيات، بسبب ربط كل ما هو غربي بالاستعمار والتنصير.

موقف مغالٍ منبهر، يظهر في الاستسلام الكامل للغرب، وتمثله بعض الطوائف كالشيعة الاثني عشرية، والنصارى العرب، والمستغربين من أبناء الأمة.

موقف وسطي عادل، يزن الأمور بميزان الشرع، فيأخذ من الغرب ما لا يتعارض مع الدين من علوم وتقنيات، دون ذوبان أو تبعية.

٥- تقوم نظرية صراع الحضارات على سعي الغرب، بقيادة الولايات المتحدة، إلى فرض هيمنته على العالم من خلال الأنظمة الليبرالية والديمقراطية، وقد كان صامويل هنتنغتون أبرز من روّج لها في كتابه "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي".

٦- تقوم نظرية نهاية التاريخ على فكرة أن البشرية ستصل إلى نهاية تطورها السياسي والفكري عند تبنيها للنموذج الليبرالي الغربي، وقد نظّر لها فرانسيس فوكوياما في كتابه "نهاية التاريخ والإنسان الأخير".

٧- تُظهر الحضارة الغربية من خلال نظرياتها المتوالية اضطرابًا داخليًا حادًا، فتارة تُعلّق آمالها على نظرية ما، ثم لا تلبث أن تنقضها بأخرى، في صراع دائم بين مفكريها ومدارسها. وهذا الاضطراب يكشف افتقارها إلى المرجعية الثابتة، ويجعل المسلم يحمد الله على نعمة الإسلام، الذي وفّر له الاستقرار العقدي، والنظام الرباني الشامل، والعدل المتوازن، والكرامة الإنسانية.

هذا، وأسأل الله النفع بما كتبت، وأن يتقبله خالصًا لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع :

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد، المصنف في الأحاديث والآثار، المحقق: كمال يوسف الحوت، ط١، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٠٩هـ.
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المحقق: خليل شحادة، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ.
ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، المحقق: محمد حسين شمس الدين، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.
أسد، محمد، الإسلام على مفترق الطرق، ترجمة: عمر فروخ، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.

إلهي ظهير، إحسان، الشيعة والتشيع، ط ١٠، لاهور، باكستان، إدارة ترجمان السنة،١٤١٥هـ.
أمين، أحمد، الشرق والغرب، القاهرة، مطبعة جنة التأليف، ١٩٥٥م.

التويجري، عبد العزيز، خصائص الحضارة الإسلامية وآفاق المستقبل، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

التويجري، عبد العزيز، صراع الحضارات في المفهوم الإسلامي لعبد العزيز التويجري، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.

جعيط، هشام، أوروبا والإسلام صدام الثقافة والحداثة، ط ٢، بيروت، دار الطليعة، ٢٠٠١م.

الجهني، مانع بن حماد (مشرف ومراجع)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب ، ط٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.
حسن، آصف، صراع الغرب مع الإسلام، آصف حسين، ترجمة: مازن مطبقاني، ط٢، الرياض، مركز الفكر المعاصر، (١٤٣٤هـ).

الحمد، محمد، رسائل في مذاهب فكرية معاصرة، محمد الحمد، ط ١، الرياض، دار ابن خزيمة، ١٤٣٥هـ.

الحوالي، سفر، العلمانية، دار الهجرة.

الحوالي، سفر، المسلمون والحضارة الغربية.

الدمشقي، يوحنا، الهرطقة المئة، ١٩٩٧م.

الدويش، أحمد بن عبد الرزاق، (جمعاً وترتيباً)، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - المجموعة الثانية، ط١، الرياض، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٦هـ.
الرازي، أحمد بن فارس، مجمل اللغة، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ.

الرازي، أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.

رضا، محمد رشيد، مجلة المنار، بمشاركة مجموعة من المؤلفين.

الزركلي، خير الدين، ط١٥، بيروت، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، القاهرة، دار المعارف.

السرجاني، راغب، المشترك الإنساني، ط١، القاهرة، مؤسسة اقرا، القاهرة، ١٤٣٢هـ.

السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحيم، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٤١هـ.

السلمي، عبد الرحيم، حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، ط١، جدة، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ١٤٣٠هـ.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مؤسسة حلبي.
طاش، عبد القادر، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، ط ٢، القاهرة، دار الزهراء، ١٤١٤هـ.

عمارة، محمد، الإسلام والغرب افتراءات لها تاريخ، ط١، مصر، مركز الإعلام العربي، ١٤٢٧هـ.

عمر، أحمد مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.
عواجي، غالب بن علي، المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، جدة، المكتبة العصرية الذهبية.
العيثاوي، طارق، "صناعة الصورة الذهنية في وسائل الإعلام صورة الرسول محمد ﷺ في الإعلام الأمريكي"، مجلة مداد الآداب، العدد (١٠)، (ص٧٥٠-٨٠٠).

فوكوياما، فرانسيس، نهاية التاريخ والإنسان الأخير، تقديم: مطاع صفدي، بيروت الإنماء القومي.

قطب، محمد، واقعنا المعاصر،ط١، القاهرة، دار الشروق، ١٤١٨هـ.

القفاري، ناصر بن عبد الله، (١٤٤١هـ)، "الحواجز بين المسلمين والغرب"، مجلة العلوم الشرعية جامعة القصيم، المجلد ١٣، العدد (١)، (ص٨٨١-٩٣٤).

محمود، عبد الحليم، أوروبا والإسلام، ط٤، القاهرة، دار المعارف.

المسيري، عبد الوهاب، الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، ط٤، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٤١٣هـ.
المسيري، عبد الوهاب، الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ، ط٣، القاهرة، دار الشروق، ١٤٢١هـ.

مورو، محمد، الإسلام وأمريكا حور أم مواجهة تحليل لكتاب "الفرصة السانحة لريتشارد نيكسون"، الروضة للنشر، الدبس للنشر، ٢٠٠١م.

الندوي، أبو الحسن، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، ط ٣، الكويت، دار القلم، ١٤٠٣هـ.

هنتجتون، صامويل، صراع الحضارات إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ط٢، تقديم: صلاح قنصوه، ١٩٩٩م.

وزوز، عائشة، نماذج من صورة الإسلام والمسلمين في إعلام المحافظين الجدد في الولايات المتحدة الأمريكية، فلسطين، ١٤٢٩هـ.